١٣٦

الي من ظهر نفعه والي من لم يظهر بالغيث النازل من السماء الي ارض ظهر نفعه فيها والي
من لم يظهر انما شبه العلم بالغيث لانه محيي القلب الميت احياء الغيث البلد اليابس وفي ذكر
الغيث دون المطر لطيفة وهي ان الغيث مطر محتاج اليه يغيث الناس عند قلة المياه وقد
كان الناس قبل البعث متحيرين في الغواية محتاجين الي الهداية فافاض الله عليهم سجال العلم
والهدي ببعثة نبينا عليه السلام فكانت منها طائفة اي قطعة الجار والمجرور حال عنها طيبة اي
غير خبيثة بسباخ ونحو قبلت الماء وانبتت الكلاء والعشب الكثير قال النووي العشب والكلأ
والحشيش والخلاء اسماء للنبات لكن الحشيش مختص باليابس والعشب والخلاء مختصان
بالرطب والكلاء بهمزة مقصورة يقع علي كليهما فيكون عطف العشب عليه عطف الخاص علي
العام لاهتمام شانه وقيل الكلاء مختص ايضا بالرطب لانه ما يتاخر نباته ويقل والعشب
ما يتقدم نباته ويكثر ولهذا وصف العشب بالكثير وكانت منها اجادب وهي بالجيم والدال
المهملة جمع اجدب وهي الارض التي لا تنبت وروي اخاذات جمع اخاذة وهي بالخاء والذال
المعجمتين الغدير ولم يروي جارد بالجيم والراء والدال المهملتين جمع اجرد عن النبات اذا قال
الخطابي وقال القاضي لم يرو في مسلم ولا في غيره الا اجادب وعليه شرح الشارحين امسكت
الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب طائفة منها اخرى انما هي
جمع قاع وهي الارض المستوية لا تمسك ماء وما كان بعض القيعان قد ينبت كلاء نفاه بقوله
ولا تنبت كلاء فذلك اشارة الي ما ذكر من الانواع الثلثة وشروع الي بيان مورد المثل فمثل الطائفة
الاولي التي قبلت الماء وانبتت الكلاء مثل من فقه بكسر القاف بالضم اي صار فقيها وروي
بالكسر هنا فهم والاول اشهر في دين الله ونفعه الله بما بعثني به فعلم وعلم بتشديد اللام
ومثل من لم يرفع بذلك راسا هذا مثل الطائفة الثانية التي لم تقبل الماء فامسكته فنفع الله
بها الناس يعني انها مثل عالم لم يعمل بعلمه وعلم غيره وعدم رفع راسه بالعلم كناية عن عدم
الانتفاع به ولم يقبل هدي الله الذي ارسلت به هذا مثل الطائفة الثالثة التي لم تمسك ماء ولم
ينبت كلاء يعني مثل هذه الطائفة رجل فات عنه التعلم والتعليم تقديرا ومثل من لم يقبل ولا
يخفي ان عدم قبول الهدي مستلزم لعدم النفع بالعلم لا في نفسه ولا في غيره قال شارح قوله
فذلك اشارة الي النوع الاول والثاني لاشتراكهما في الانتفاع وقوله مثل من لم يرفع الي اخره
اشارة الي النوع الثالث وانت تري ما فيه من التكلف ق ابو هريرة رضي الله عنه اتفقا علي
الرواية عنه قال لما نزل قوله تعالي ولكن رسول الله وخاتم النبيين استغرب الكفار كون باب
النبوة مسدودا فضرب النبي عليه السلام لهذا مثلا ليتقرر في نفوسهم وقال ان مثلي ومثل الانبياء

من قبلي

٦٩

١٣٧

من قبلي كمثل رجل بني بنيانا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة استثناء من قوله بنيانا وهو الخالي
اللبنة علي وزن الكلمة ما يتخذ من طين ويجفف ويبني بها من زاوية من زواياه فجعل
الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فانا اللبنة يعني اذا كان
كذلك فانا كاللبنة في الكمال وانا خاتم النبيين وهو بفتح التاء بمعني الطابع وبكسرها بمعني
فاعل الختم معناه انا اخر الانبياء فان قيل كيف كان اخر الانبياء وعيسي عليه السلام ينزل في
اخر الزمان قلنا معني كونه اخرا انه لا يكون احد مبلغا بعده وعيسي عليه السلام حين ينزل
عاملا علي شريعة محمد عليه السلام مصليا الي القبلة كانه بعض امته اعلم ان هذا تشبيه المجموع
بالمجموع ووجه الشبه عقلي منتزع من عدة امور فيكون امر النبوة في مقابلة البنيان وفيه اشارة
الي ان فائدة بعثة الانبياء عليه السلام تكميل مصالح العباد واحاطتها بالاوضاع الشريفة قد
كانت حاصلة بالنقصان وبالنبي عليه السلام تمت تلك الاحاطة وكملت دار النبوة ق
ابو موسي رضي الله عنه اتفقا علي الرواية عنه ان مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتي قوما
المثل بمعني الصفة وهذا ايضا تشبيه مركب حتي لو فات قيد منه لم يتم التشبيه ولا يظن
ان هنا تمثيلين تمثيل المبعوث وتمثيل المبعوث به لان هذا تمثيل واحد من قبيل ان زيدا وعمرا
قائمان لا من قبيل ان زيدا وعمرا قائم فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني بتشديد الياء
علي سقوط نون التثنية بالاضافة وفيه اشارة الي ان هذا المثل مختص بالنبي عليه السلام لان
ما انذر به من الاهوال هي التي راها بعينه واما سائر الانبياء عليه السلام فلم يكن لهم مواجهة كذلك
حتي يعاينوا تلك الاهوال واني انا النذير وهو الذي يخوف غيره باعلام العريان وهو الذي لقي
العدو فسلبوا ما عليه من الثياب فاتي قومه عريانا يخبرهم فصدق بعضهم لما عليه من
اثار الصدق فنجوا وهذا القول مثل يضرب لشدة الامر وقرب المحذور وبراءة المخبر عن
التهمة والكل موجود في النبي عليه السلام فالنجاء بالمد نصب علي الاغراء اي اطلبوا
النجاء او علي المصدر اي انجوا النجاء وهو الاسراع فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا اي
ساروا من اول الليل فانطلقوا علي مهلهم وهو بفتح الميم والهاء ضد العجلة وكذبت
طائفة منهم ناموا ولم يقل ولم تطع طائفة مع انه كان في مقابلة فاطاعه اشارة الي ان عدم الطاعة منهم
كان بسبب تكذيبهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش اي اتوهم صباحا ليغيروا عليهم
فاهلكهم واجتاحهم بالجيم والحاء المهملة بعد الالف اي اهلكهم بالكلية فذلك اي
المثل المذكور وهذا بيان لوجه المشابهة مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني
وكذب بما جئت به من الحق وفيه اشارة الي ان مطلق العصيان غير مناسب بل العصيان

Copyright © King Saud University